مفهوم النقد الثقافي عند علي الوردي

The concept of cultural critic at Ali al-Wardi

الاسم واللقب: معارك ناصر*
مختبر:...../.....
كلية: العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية. جامعة: قسنطينة 02 البلد: الجزائر.
البريد الالكتروني: maarek-nacer@hotmail.fr.

قُدم للنشر في: 2020-10-29, قُبِل للنشر في: 2020-12-21 نشر في: 2021/02/26

Name & Surname: Maarek Nacer
Laboratory: ...../.....
Faculty: sciences humane et sciences social
University;Constontine 02 Contery:Algeria
Email: maarek-nacer@hotmail.fr.

Received:29-10-2020 Accepted: 21-12-2020
Bublier le : 26/02/2021

الملخص:

سأحاول من خلال هذا البحث تحديد مفهوم النقد الثقافي عند علي الوردي، انطلاقا من مركزه السوسيو-ثقافي المتعدد المناهج ومدى قدرته على استقراء قيمة الشعر العربي والدفاع عن خصوصيته العربية باعتباره ظاهرة اجتماعية، حاملة للمخلف القيم الاجتماعية وعاكسة للطبيعة اللغوية والفكرية والثقافية التي تحتاج للدراسة النقدية بهدف الكشف عن مدلولاتها المتعددة، ومنوها على ضرورة الانعطاف إلى النقد الثقافي باعتباره ضرورة حتمية للحفاظ على خصوصية الأدب العربي من زاوية النقد الثقافي وإعطائه بعدا عالميا.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، علي الوردي، الشعر العربي، الأدب، السوسيو-ثقافي.

Abstraction

Through this study, I am trying to define the concept of cultural critic in Ali al-Wardi, based on his multi-curricular socio-cultural position and the extent of his ability to extrapolate the value of Arab poetry and defend its Arab specificity as a social phenomenon, carrying the social values and reflecting the linguistic, intellectual and cultural nature that needs critical study in order to reveal on its multiple implications, noting the necessity of turning to cultural criticism as it is an imperative to preserve the specificity of Arabic literature in terms of cultural criticism and give it a global dimension.

Keywords: cultural critic, Ali al-Wardi, Arab poetry, literature, socio-cultural.

* معارك ناصر،دكتوراه فلسفة ل م د تخصص:فلسفة العلوم والقيم في الفلسفة الغربية المعاصرة **maarek-nacer@hotmail.fr**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة:

يعتبر الشعر العربي من بين الأساليب الأدبية التي اختص بها العرب في شبه الجزيرة العربية لأهميته الفاعلة بين أفراد المجتمع،حيث كان الشعر الجاهلي معجزة العرب بفضل بلاغته اللغوية وتنوع أغراضه الأدبية التي يعبر من خلالها الشاعر عن تأمله للعالم الخارجي والداخلي كديمومة لها وزنها الاجتماعي،غير أن الدراسات الأدبية والثقافية لم تنظر إلى الشعر من زاويته الأدبية والجمالية بقدر نظرتها إليه من زاويته الخطابية البنيوية،وقد حاول المفكر العراقي علي الوردي الاهتمام بدراسة الأدب العربي عموما،والشعر باعتباره أحد الفروع الأدبية التي لها الأهمية الخطابية اجتماعيا وثقافيا،إذ اغتنم منهجيته الاجتماعية في تحليل الخطاب الشعري مبرزا أبعاده الفلسفية والنفسية وأثرها الثقافي على المجتمع،وقد حاولنا في بحثنا الاعتماد على المنهج التحليلي بهدف التقريب بين الخطاب الشعري والفلسفة،لنبرز مفهوم النقد الثقافي من منظور علي الوردي،مقسمين بذلك البحث إلى ثلاثة عناصر رئيسية،هادفين من وراء ذلك الإجابة على التساؤل التالي:إلى أي مدى استطاع علي الوردي الكشف عن البعد الفلسفي الثقافي للخطاب الشعري من وجهة نظر النقد الثقافي؟

أولا:مفهوم النقد الثقافي:

لا شك أن مصطلح النقد الثقافي يمكن النظر إليه في ثنائية تركيبية من مصطلحين هما:النقد والثقافة،فالنقد كعملية فكرية مرتبط أشد الارتباط بالممارسة الفردية،على اعتبار أن الفكر يحتاج إلى الحرية التي تمكن الناقد من التبحر في معالجة مختلف قضاياه وتحليلها وتفكيكها واستقصاء جميع الحقائق التي تشغل حيز إطاره الفكري،وقد حاول **مراد وهبة** في "**معجمه الفلسفي**" ربط النقد بالمفهوم الكانطي له،حيث يقول:: «...يعرفه كانط بأنه "فحص حر"أي غير مقيد بأي مذهب فلسفي.هذا الفحص،عنده،ينصب على مدى تطابق معاني العقل ومدركات الحس»[1]

وعملية النقد تحتاج في حقيقتها إلى إرادة قوية تمكن الباحث من تتبع الحقيقة والتحرر في أحكامه من الأحكام المسبقة دون الخضوع إلى أي عائق ابستمولوجي،ذلك أن النقد كعملية مرتبط بالفكر والمنطق وهذا ما يحتم على الباحث الالتزام بالموضوعية في معالجة قضاياه.

1)مراد وهبة:**المعجم الفلسفي**،دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،(د.ط)،2007.ص655.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما الثقافة فهي إحدى المواضيع المركزية داخل العلوم الاجتماعية والتي تشمل«...أشكال الحياة والأدوات والرموز والعادات والمعتقدات المميزة لمجموعة تاريخية متميزة من الناس.وهذا الشعور بالثقافة يرتبط بفكرة المجتمع الذي يوفر الكثير من مواضيع علم الاجتماع والأنثروبولوجيا»[2] والثقافة في حقيقتها تميز الإنسان عن بقية الكائنات الأخرى،على اعتبار أن الفعل الإنساني يتحول إلى نشاط ذا أبعاد فنية ورياضية وأدبية وغالبا ما يتم مقارنتها بالثقافة الشعبية التي تتقولب كلها داخل القيم.[3]

وبالتالي فالثقافة هي كل متكامل يجمع بين ما هو مادي وروحي،فهي تصدق على الخبرات الإنسانية وتحولاتها على أرض الواقع،فالفعل الإنساني في علاقته بالثقافة لا يمكن إنكاره لأنه واضح في ذلك الأثر الذي يتركه المجتمع داخل العالم الخارجي،لهذا عملت الحقول المعرفية خصوصا في ميدان العلوم الاجتماعية على الحرص في إبراز الثقافة بالإنسان.

وعلى هذا الأساس كان النقد الثقافي كما حدده **أرثر أيزابرجر** في كتابه:**"النقد الثقافي،تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية"**على أنه عبارة عن«... نشاط وليس مجالا معرفيا خاصا بذاته،كما أفسر الأشياء بمعنى أن نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات(...)على الفنون الراقية والثقافة الشعبية،والحياة اليومية وعلى حشد من الموضوعات المرتبطة.فإن النقد الثقافي كما أعتقد هو مهمة متداخلة،مترابطة»[4]كذلك يمكن اعتبار«... النقد الثقافي نشاط أو فعالية تعنى بالأنساق الثقافية التي تعكس مجموعة من السياقات الثقافية والتاريخية والاجتماعية والأخلاقية والإنسانية والقيم الحضارية،بل حتى الأنساق الثقافية الدينية والسياسية »[5] وعلى هذا الأساس يعتقد **سمير خليل** أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون أفكارا ومفاهيم متنوعة وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد،وأيضا التفكير الفلسفي وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي،وبمقدوره أيضا أن يفسر(نظريات ومجالات علم العلامات،ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية

2) Nicholas Bunnin and Jiyuan Yu: **The Blackwell Dictionary of Western philosophy**, Blackwell publishing LTD, British Library ,1st published,2004.p155.
3)Ibid,p155.
4)أرثر أيزابرجر:**النقد الثقافي**،تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية،ترجمة:وفاء إبراهيم،رمضان بسطاويسي،المشروع القومي للترجمة،المجلس الأعلى للثقافة،(العدد603)،القاهرة،مصر،الطبعة الأولى،2003،ص30.
5)سمير خليل:**النقد الثقافي،من النص الأدبي إلى الخطاب**،دار الجوهري،بيروت/لبنان، دمشق/سوريا،الطبعة الأولى،2012.ص07.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والنظرية الاجتماعية والأنثربولوجية..إلخ)ودراسات الاتصال،وبحث في وسائل الإعلام،والوسائل الأخرى المتنوعة التي تميز المجتمع والثقافة المعاصرة(وحتى غير المعاصرة)[6]

ثانيا:الشعرالجاهلي بين ماضي الخر افة وحاضر الثقافة:

لقد كان الشعر الجاهلي مغتربا عن حاضر الثقافة العلمية بسبب طبيعة المجتمع الجاهلي الذي كان ينظر إلى الشعر والشاعر نظرة أسطورية،ذلك أن القريحة الشعرية مرتبطة بنوع من التفرد الذي يضفيه الجن على الشاعر الذي يبهر المتلقي لشعره بتلك الكلمات الساحرة التي تتغلغل إلى وجدان الناس،حيث كان العرب في نظر علي الوردي يفسرون الحالات التي ينظم بها الشعراء بلاغاتهم الشعرية بأنها مس من الجن ،فعندما ينظم الشاعر شعره ينطلق وكأنه حافظ لما يقول أو تملى عليه تلك الكلمات الفصحى،فكانت هذه المرحة تمتاز بالتفسير الخرافي،إذ يكون الجن هو سبب إلهام الشاعر بتلك القريحة الشعرية والتفرد بها على غرار الكثير من أفراد المجتمع.[7] وهنا نفهم بأن الشعر الجاهلي كان حبيس التفسير الخرافي ذلك أن العرب في الجاهلية لم يرتقوا إلى البراديغم العلمي الذي يؤهلهم إلى الكشف عن أسرار الإبداع الشعري،وهذا الكلام لا يعني الإنقاص من قيمة الشعر الجاهلي بقدر صبرنا على موقف علي الوردي منه.

وقد يلجأ الشعراء إلى فعل أشياء تشبه أفعال المجانين لغرابتها،و ينعزلون عن المجتمع،كما يشربون الخمر أو الأعشاب لتنشيط الدماغ،ومرد ذلك أن هذه الأفعال ما هي إلا إثارة للجانب اللاواعي في الشاعر[8]،حيث يقول علي الوردي:«...ليس من السهل علينا تعداد مختلف الوسائل التي يلجأ إليها الشعراء والفنانون في هذا الصدد.وعلى أي حال،فمن الممكن القول أن هذه الوسائل على اختلاف أنواعها لا يقصد بها سوى تخدير العقل الواعي وذلك لكي يتمكن اللاشعور من إظهار نشاطه على وجه من الوجوه»[9]ومعنى ذلك أن الشعراء إنما يحاولون التنفيس عن مكبوتاتهم بواسطة اللغة الشعرية التي وجدت ملاذها داخل المجتمع.

---

6)المرجع نفسه،ص31.

7) علي الوردي:**الأحلام بين العلم والعقيدة**،دار كوفان للنشر لندن،بيروت،لبنان،ط2 ،1994. ص187.

8) المصدر نفسه ،ص189

9) المصدر نفسه،ص190.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعملية الإبداع الشعري من زاوية علم النفس الفرويدي مرتبطة بالخيال،فيشبه **سيغموند فرويد** الشاعر بالطفل الذي يشكل عالما خاصا به أثناء اللعب،أما الشاعر فيتأمل عالمه الداخلي باعتباره حالات انفعالية يعيشها ويتفاعل مع عواطفه وأفكاره ليحولها إلى لغة خاصة تؤثر في المستمعين،الذين يتأثرون ويتناغمون مع إبداع الشاعر[10]،ويؤكد سيغموند فرويد على القيمة الفنية للشعر بقوله: «...لكن هناك نتائج مهمة للغاية بالنسبة للتقنية الفنية تتمخض عن لا حقيقية العالم الشعري،فالكثير مما لا يشيع المتعة من ناحية واقعية،لكنه يتحول في حالة لعبة الخيال،بما في ذلك تلك الانفعالات الحرجة في الواقع،إنما يتحول إلى مصدر للمتعة بالنسبة لمستمعي الشاعر ومشاهديه»[11]

ولا يكتفي **علي الوردي** بالرؤية النفسية واعتماده على المقاربة الفرويدية في تحليل الخطاب الشعري العربي،بل يتعداها إلى التفسير الاجتماعي مؤكدا على الأصول الاجتماعية لأي ظاهرة أدبية مهما كان غرضها،لأن المجتمع هو المرجع الوحيد الذي يجيب الباحث على تساؤلاته حول السلوك الاجتماعي على اعتبار أن الإبداع الشعري هو جزء لا يتجزأ من المجتمع الذي ينتمي إليه،ويقدم **علي الوردي** مثالا عن الإبداع العربي المتمثل في الشعر العربي الذي لا يمكن تحليله دون الارتكاز على المقاربة الاجتماعية وذلك بالرجوع إلى ماضي المجتمع العربي المتمثل في المجتمع الجاهلي والاعتماد على المقاربة التاريخية لفهم القيود اللفظية وجميع العوامل المحيطة بالإبداع الشعري،ومعرفة المنشأ الاجتماعي داخل المجتمع الذي يحتوي جميع الأصول التاريخية والمعرفية،حيث أن منشأ الشعر العربي هو البيئة المتمثلة في المجتمع الجاهلي بكل ما يحمله من مؤهلات. [12]وهنا تكون المنهجية الجينالوجية ضرورية للكشف عن الأصول النفسية والاجتماعية للشعر العربي عبر التحليل الدقيق للشعر وما يحمله من دلالات سوسيوتايخية.

ويدعم علي الوردي رؤيته بتأكيده على تلك الخصائص التي ورثها المجتمع العربي عن المجتمع الجاهلي وهي:**العصبية القبلية والغزو والشعر**،حيث تعمل هذه الخصائص الثلاث على بناء مفهوم الإبداع الشعري الذي يعكس حياة البادية بكل جوانبها العقلية والنفسية

10)سيغموند فرويد:**الغريزة والثقافة**،دراسات في علم النفس،ت:حسين الموزاني،منشورات الجمل،بيروت،لبنان،ط1 ،2017.ص64.

11)المرجع السابق نفسه،ص64.

12)علي الوردي:**نقد كتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين**،إعداد وتقديم:صباح جمال الدين،دار الوراق للنشر،ص18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والقبيلة،فالعامل البيئي للصحراء دفع القبائل البدوية إلى ابتكار الشعر باعتباره وسيلة يعبرون بها عن كل الأوضاع المعيشية والتاريخية والشخصية،باعتبار أن نظم الشعر خاصية إبداعية فريدة .[13] وبالتالي تكون هذه الخصائص الاجتماعية خلفية أساسية ورباط قوي مكن المجتمع البدوي من التجمع القبلي لحماية أنفسهم وأموالهم حيث أن: «...البدوي الذي لا يحتمي بقبيلة من القبائل لا يستطيع أن يعيش في الصحراء طويلا.ومن هنا جاء اهتمام العرب بالنسب إذ به يعرفون صلاتهم القبلية»[14]

وللصحراء دور في تكوين الشعر،ذلك أن الشاعر هو لسان قبيلته والمدافع عنها،غذ لا تكفي القوة ولا الشجاعة للذود عن القبيلة،بل تحتاج القبيلة إلى الشاعر كما تحتاج إلى الفارس لأن لغة السيوف لا تكفي بل يحتاج القبيلة إلى لغة بليغة لتجسد بها وجودها الفكري،أو كما يستدل علي الوردي بأحد الأبيات الشعرية كما يقول الشاعر البدوي:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم[15]

وقد كان الشعر من أهم الفنون التي اختص بها المجتمع العربي،ومرد ذلك إلى الترحال المستمر الذي لا يسمح لهم بحمل إلا الضروريات،فيعتمدون على نظم الشعر باعتباره كلاما موزونا يسهل نظمه ونقله وتداوله كفن من فنون اللسان[16].والشعر في نظر علي الوردي يمكننا من دراسة تاريخ الشعوب باعتباره أحد المصادر المعنوية التي يصف من خلالها الشاعر أوضاعه الاجتماعية فتتناقلها وتتوارثها الأمم وتحافظ عليها باعتبارها شاهدا على الخبرة الاجتماعية بكل أبعادها المعيشية،وبالتالي يمكن استثمارها من طرف الباحثين في دراساتهم التاريخية[17]،حيث يقول علي الوردي: «...كنت قبل سنوات أحاضر في أحد صفوف كلية الآداب في موضوع المجتمع البدوي وتاريخه.وكان أعظم مرجع لي في هذا الموضوع هو الشعر الجاهلي.فكنت استشف من وراء سطوره ما كان يسود المجتمع البدوي القديم من معايير أخلاقية ودينية واجتماعية.وقد اجتمعت عندي من وراء ذلك معلومات تاريخية لا بأس

13)علي الوردي:**أسطورة الأدب الرفيع**،دار كوفان للنشر لندن،بيروت،لبنان،ط2، 1994.ص92.

14) المصدر السابق نفسه،ص19.

15) المصدر نفسه ،ص ص 19-20.

16) علي الوردي:**أسطورة الأدب الرفيع**،ص94.

17) المصدر نفسه،ص ص 100-101.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بها»[18]ومعنى ذلك أن الشعر هو خطاب يحمل بين طياته الكثير من الأبعاد الثقافية والمعرفية إذ لا يمكن للذات العربية أن تتخلى عليه لأنه ذلك الجسر الذي يربط بين الماضي وما يحمله من قيم وأخبار العرب،وبين الحاضر وتحدياته المعاصرة التي تسعى من ورائها الذات العربية إلى الحفاظ على هويتها والتفتح على العالم.

ثالثا:الأدب وعلم الاجتماع :

يعتقد علي الوردي أن الأدب ظاهرة اجتماعية في أساسها،لأنها تخضع للخبرة الإنسانية كفعل اجتماعي قابل للدراسة الاجتماعية،حيث يستعين عالم الاجتماع بمنهجيته الخاصة ليفهم أسرار المجتمع وأفعاله باعتبارها نظريات ونتائج مستخلصة من الملاحظات العلمية[19].ومادام أن موضوع علم الاجتماع هو الظواهر الاجتماعية،فالأدب إذن هو انعكاس للخبرة الاجتماعية،وما يصدق على الكل يصدق على الجزء،إذ لا يمكن الكلام عن الأدب بمعزل عن المجتمع الذي أبدعه[20]،وقد برر علي الوردي هذه الرؤية بقوله:«...إن المجتمع البشري مؤلف من جوانب تاريخية وفنية وسياسية واقتصادية ودينية وغيرها.وإذا لم يدرس علم الاجتماع هذه الجوانب،فماذا يدرس إذن ؟ »[21]

وقد حاول علي الوردي الكلام على أحد الألوان الأدبية التي اختص بها المجتمع العربي،إذ أكد على أن الشعر هو أحد تلك الألوان الأدبية التي يمكن إدراجها ضمن الأطر الفنية والاجتماعية،فالشعر يمس جميع نواحي الحياة الإنسانية الفردية منها والاجتماعية فهو ظاهرة اجتماعية ناتجة عن الفعل الاجتماعي،لهذا كان دور الباحث الاجتماعي في نظر علي الوردي هو تحليل القصيدة الشعرية وخطابها من حيث علاقتها بالمجتمع الذي تمثلت فيه وتناغمت معه.[22]لأن تكوين الشاعر لا يعتمد على ذاكرته فقط باعتبارها عاملا ذاتيا،بل أن استكشافه لذاته يكون بهدف التواصل مع العالم الخارجي الذي يعطيه تلك القيمة كحكم وكفعل،فينطلق من يومياته باعتبارها الحاضر الذي ينطلق منه في تمثلاته الأدبية.[23]

---

18) المصدر نفسه،ص101.

19) المصدر نفسه ،ص50.

20) المصدر نفسه،ص51.

21) المصدر نفسه،ص51.

22) المصدر نفسه،ص52.

23) ميري ورنوك:**في الفلسفة والأدب**،ت:فلاح رحيم،دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت،لبنان،ط1 ،2007.ص160.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكن موقف علي الوردي من الشعر العربي انطلاقا من الوضع الاجتماعي كان وصفا يبدو للوهلة الاولى نابعا من ملاحظة إمبريقية مرتكزة على أصول واقعية النظرة،حيث لاحظ أن الخطاب الشعري لا يحمل الحقيقة باعتبارها تأمل الشاعر لعالمه الداخلي بقدر ما هي إرضاء للواقع الموضوعي،فالحكم الاجتماعي يختلف من فرد لآخر،فالشاعر الذي يمجد البلاط وأهل المال يتقبله المجتمع لأنه يبدو رنانا في أحكامه واصفا الحقيقة التي يرضاها أصحاب المقام الرفيع،أما الشاعر الذي ينطلق من الواقع الملموس ويتأثر بأوضاع المجتمع تأثرا موضوعيا يزدريه المجتمع ويتهمه بالمتاجرة بشعره[24]، حيث يقول علي الوردي:«...إنهم يتهمون من يكتب للشعب بأنه تاجر يرتزق بأدبه.أما من يكتب للمترفين أو يمدحهم بقصائده سعيا وراء الجائزة فهو في نظرهم أديب عبقري،وله في قلوبهم مكانة عليا»[25]

والشاعر هنا يشبه ذلك المثقف الذي يكون وسيطا بين الحقيقة والمجتمع،غير أنه سرعان ما يدفع ضريبة تأمله للحقائق الاجتماعية،فإما أن يكون مثقفا عضويا ويتحمل نتائج أحكامه أو يكون مثقفا مزيفا وبالتالي ينعم بريع كتمانه للحقيقة،وبين هذا وذاك نفهم أن علي الوردي ينتقد بشدة استغلال الخطاب الشعري لأغراض ذاتية،بل هو فن أدبي يمتاز بالموضوعية والحياد.

إذن فالحقيقة الأدبية مربوطة بالمجتمع،وكما كان الشعراء يصفون واقعهم الاجتماعي كان على الباحث الاجتماعي تتبع الخطاب الأدبي،لهذا أكد علي الوردي أنه من حق عالم الاجتماع أن يدرس القضايا الأدبية مثلما يدرس الأدباء القضايا الاجتماعية،ومن هنا يضبط العلاقة التواصلية بين الأدب وعلم الاجتماع باعتبارهما وجهين لحقيقة واحدة هي الطبيعة البشرية.[26]وما نفهمه هنا أن علي الوردي يحاول دمج الخطاب الأدبي ضمن السياق الثقافي،لأن المعطيات العلمية تفترض ضرورة مواكبة العصر هذا من جهة،والانعطاف بعلم الاجتماع نحو تحليل كل ما يصدر عن المجتمع من أفعال اجتماعية خصوصا الفعل الأدبي مثل الشعر.

كما أن الباحث الاجتماعي في نظر علي الوردي يستطيع إدراك القيم الاجتماعية التي يحملها الخطاب الشعري،ذلك أن الشاعر يستطيع أن يجامل الأفراد بشعره ويزيف الحقائق،لكنه لا

24) علي الوردي:**أسطورة الأدب الرفيع**،ص52.

25) المصدر نفسه،ص53.

26) المصدر نفسه،ص53.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يستطيع تجاوز الحقائق الاجتماعية العامة،فهو ابن بيئته يتأثر بها في أحكامه،وهذا ما يسمح للباحث الاجتماعي من استقراء تلك القيم من خلال الخطاب الشعري ومعرفة الحقائق الموضوعية التي تأثر بها الشاعر.[27]ويدعو علي الوردي إلى أن الشعر اليوم يجب أن يكتب بلغة يفهمها المجتمع،إذ أن الخطاب يجب أن يحاكي الجمهور الذي يتلقاه،لأننا اليوم لم نعد نكتب للطبقة الخاصة بل للطبقة العامة،لهذا كان الخطاب الأدبي عموما خطابا يعكس الرؤية الاجتماعية المتبادلة بين الواقع والأديب.[28]ومعنى ذلك ان علي الوردي يطرح قضية المركز والهامش بالنسبة لفئات المجتمع،إذ لا يمكن إقصاء أي فرد من فهم الخطاب الأدبي وذلك بفضل آليات النقد الثقافي.

كذلك يفيد الخطاب الشعري الباحث الاجتماعي في إدراك التاريخ،ذلك أن تاريخ المجتمع يعكسه الشعر الذي يصور لنا الوقائع الاجتماعية وما تحتويه من قيم وأخلاق وأفكار وغيرها،إذ أكد علي الوردي على أن الشعر الجاهلي مثلا كان أحد أهم المراجع التي اعتمدها في دراسته حول المجتمع البدوي،فحمل بين دلالاته المعايير الأخلاقية والدينية والاجتماعية التي امتاز بها المجتمع البدوي[29].

ويحاول علي الوردي أيضا الكلام على الشعر من باب المساواة الاجتماعية،ذلك أن الشعر هو خطاب اجتماعي يصف المجتمع ويعود إليه،على اعتبار أن التمايز اللغوي لا يظهر إلا داخل مجتمع طبقي، فكلما كانت الفوارق الطبقية موجودة كلما كانت اللغة ذات خصوصية واحتكار،وكلما قلت الفوارق الطبقية وعمت المساواة والديمقراطية كلما أصبحت اللغة وسيلة للتفاهم بين الناس،والشعر باعتباره خطابا لغويا تصدق عليه القاعدة نفسها.[30]من هنا نجد بأن تحليل علي الوردي مبني على الواقعية المدروسة بأسس منهجية،فتحليلاته مزيج بين المنهج الاجتماعي والنقد الفلسفي،وبالتالي يحاول تبرير موقفه من الأدب والشعر من زاوية اجتماعية يهدف من خلالها إلى دراسة مدى تطابق البنيات الأدبية مع البني الاجتماعية التي تتلقى الأعمال الأدبية والشعرية كخطاب له دلالات ثقافية.

رابعا:علي الوردي ناقدا ثقافيا:

27) المصدر نفسه ،ص98.

28) المصدر نفسه،ص57.

29) المصدر نفسه،ص ص 100-101.

30) المصدر نفسه،ص 195.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الميزة التي اختص بها الدكتور علي الوردي هي امتلاكه القدرة على استيعاب التعدد الفكري والاستفادة من جميع الأفكار على اختلاف مشاربها سواء كانت سوسيولوجية أو سيكولوجية أو سوسيو-ثقافية[31]«...تشكل عنده كم معرفي أدخله في دائرة اهتمامات النقد الثقافي الذي لا يؤطر عمله بآلية منهجية معينة وإنما هو تعددي منفتح على كل الثقافات وهذه الخصيصة نجدها في عمل د.الوردي»[32]والقارئ لكتب علي الوردي يجدها متنوعة المشارب المنهجية والمعرفية،خصوصا وانه ليس عالم اجتماع فقط وإنما يتعدى ذلك إلى تطبيق نظريات في علم النفس،وعلم اجتماع المعرفة،والتاريخ ،كما له اهتمامات بالأدب والثقافة وذلك راجع لعوامل ذاتية متمثلة في موسوعيته،وعوامل موضوعية تمثلت في استكمال دراسته الجامعية في الولايات المتحدة الأمريكية ،والبيئة الحضارية والثقافية للعراق(*).

ويمارس علي الوردي النقد الثقافي انطلاقا من خبرته كعالم اجتماع،فهو ينظر إلى الأعمال الأدبية باعتبارها أفعال اجتماعية تمثل التفاعل المتبادل بين الذات المنتجة والبيئة الاجتماعية التي تحتوي إبداعات ذواتها الإنسانية،لهذا كان النقاد يمارسون النقد الثقافي بمعنى«...أن النقاد يطبقون المفاهيم والنظريات الخاصة به على التراكيب التي تحتويها الفنون الراقية والثقافة الشعبية والحياة اليومية وعلى حشد من الموضوعات المرتبطة بها»[33]

ومفهوم النقد عند علي الوردي يتماشى مع رؤيته السوسيولوجية،ذلك أنه يحاول ربط النقد بالموضوعية،فالأدباء يغلب عليهم النزعة الذاتية،وبالتالي يكون النقد عبارة عن نظرة ذاتية نابعة من عاطفة الناقد تجاه الخصوم،بذكر سلبيات إنتاجه الأدبي،لكن هذا التوجه في نظر علي الوردي ضعيف لأنه يضر بالأدب أكثر من النفع به،وعلى الرغم من ذلك يقسم علي الوردي النقاد إلى صنفين،الصنف الأول يكون الناقد قادرا على الالتزام بالموضوعية في

31) عبد الرحمن عبد الله:**النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي،العراق انموذجا**،دار الشؤون الثقافية العامة،مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية،بغداد،ط1، 2013.ص167.

32)المرجع نفسه،ص167.

(*)من أهم الكتب التي يمكن انتهاجها لتتبع أهم القضايا التي عالجها علي الوردي نذكر على سبيل المثال لا الحصر:(مهزلة العقل البشري،الأخلاق-الضائع من الموارد الخلقية،خوارق اللاشعور وأسرار الشخصية الناجحة،أسطورة الأدب الرفيع)

33)سمير خليل: **النقد الثقافي،من النص الأدبي إلى الخطاب**،دار الجوهري،بيروت/لبنان،دمشق/سوريا،ط1 ،2012.ص12

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نقده،أما الصنف الثاني فيمتاز بالذاتية بسبب ميول الناقد للعاطفة[34].وكمثال على ذلك الصراع الثقافي الذي كان بين طه حسين والأدباء حول قيمة الشعر الجاهلي،حيث يقول طه حسين «...ولعله أبلغ في إثبات ما نذهب إليه .فهذا الشعر الذي رأينا انه لا يمثل الحياة الدينية والعقلية للعرب الجاهليين بعيد كل البعد على أن يمثل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنه قيل فيه.والأمر هنا يحتاج إلى شيء من الروية والأناة »[35]وما نفهمه هنا أن طه حسين شكل قطيعة تاريخية بين اللغة العربية والشعر الجاهلي من جهة وبين حاضر الثقافة العربية والشعر الجاهلي باعتباره خبرة تاريخية تراثية لا يمكن الاستغناء عنها.

وقد حاول علي الوردي توضيح ذلك الصراع الثقافي بقوله: «...وهب النقاد على طه حسين يبرهنون له خطا رأيه،وصحة نسبة الشعر الجاهلي إلى الجاهليين.والغريب أن براهينهم في هذا الصدد لم تخرج عن النطاق الذي افترضه طه حسين مقدما.فقد أخذوا يأتون بالأمثلة من الشعر الجاهلي للتدليل بها على أن هذا الشعر بحث في جميع الأمور التي أشار إليها القرآن،وهو إذن يمثل الحياة الجاهلية أصدق تمثيل»[36]ومن زاوية أخرى يحاول علي الوردي التوسط في الرأي بالرد على كلا الطرفين مؤكدا على أن كلا الطرفين حاولا التأكيد على أطروحة مغايرة للطرف الثاني على الرغم من أن الحياة الجاهلية هي محور النزاع وقد كان القرآن الكريم واصفا للحياة العربية في العصر الجاهلي، كما كان الشعر الجاهلي واصفا لما كان يحياه البدوي في صحراءه،حيث يقول علي الوردي: «...نسى هؤلاء،كما نسى الدكتور طه،شيئا واحدا كان الجدير بهم أن لا ينسوه.وبهذا ضاعت جهودهم وجهود دكتورهم هباءا.لقد نسوا أن القرآن يمثل الحياة الجاهلية من زاوية تختلف عن زاوية الشعر الجاهلي،وأن كليهما كان صحيحا في تمثيله بالرغم من تفاوتهما في التصوير»[37]فعلي الوردي هنا ركز على أثر الفعل الاجتماعي الذي يتجسد في تلك الثقافة التي تحمل بداخلها مجموعة المعايير الاجتماعية والأخلاقية والقيمية،إذ على الرغم من تباين اتجاهات الأدباء حول قيمة الشعر الجاهلي وأصالته غير أن علي الوردي آثر على نفسه إلا التأكيد على ذلك التواصل بين

34) علي الوردي:**أسطورة الأدب الرفيع**،ص 255.

35)طه حسين:**في الشعر الجاهلي**،دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، الطبعة الثانية،1998،ص36

36) علي الوردي:**أسطورة الأدب الرفيع**،ص 121.

37)المصدر نفسه،ص122.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الماضي والحاضر والمتمثل في الهوية بجميع أبعادها ،أما النقد فهو مشروع في نظره مادام كل طرف يستطيع البرهنة على أطروحته بالكيفية التي تقوده إلى الطرح الموضوعي.

وما يهم في النقد هنا هي اللغة باعتبارها خطابا يحتويه المجتمع ويؤثر فيه كفعل تداولي،ذلك أن العلاقة الموجودة بين المجتمع والخطاب هي تلك التمثلات التي تتفاعل من خلالها الذات مع الذوات الأخرى.[38]إذن فالنقد الحقيقي هو الذي يحلل ويخلخل الخطاب بكل موضوعية بعيدا كل البعد عن تلك الخلفيات الإيديولوجية.

ودعوة علي الوردي إلى الموضوعية تتماشى مع موقفه من التعددية الثقافية إذ امتاز بالحيادية وعدم التأثر بأي تيار إيديولوجي،فابستيميته كانت مبنية على الصرامة المنهجية لتخصصه باعتباره عالم اجتماع[39] من هنا كان الناقد الموضوعي في نظر علي الوردي هو الذي :«...يستطيع أن يكتشف مكامن العاطفة في نفسه كما يكتشفها فيمن حوله ولا يخفى أن هذه مقدرة صعبة كل الصعوبة.فهي تحتاج إلى ترويض دقيق ومران طويل.ولا ينالها من الناس إلا القليلون.ولعل كثيرا من الذين أخفقوا في بحوثهم العلمية،يرجع سبب إخفاقهم إلى العجز عن نيل هذه المقدرة النفسية الكبرى»[40]

ولكي يكون الناقد موضوعيا في تحليلاته عليه إدراك تلك العوائق الابستمولوجية التي تقف بينه وبين الحقيقة التي يريد إدراكها،إذ تواجهه بعض العوامل النفسية والاجتماعية فتعمل على عرقلة كشفه النقدي،والنقد في نظر علي الوردي ميزة حداثية تمكننا من إعطاء وجود للحاضر والكشف عن أخطاء الماضي،لأنه لم تعد هناك حقائق مطلقة في ميدان الأدب[41].وهذه دعوة من علي الوردي إلى الإقرار بنسبية الحقيقة فلم تعد هناك حقيقة ثقافية مطلقة،فالأدب باعتباره جزءا من الثقافة قابل للنقد والتحليل وإذا تم ذلك سيكشف الستار على المسكوت عنه من القضايا التي كانت مؤدلجة ضمن مفهوم المركزية.

إن الناقد في نظر **علي الوردي** هو الفرد القادر على الجمع بين العلم والأدب على الرغم من بعض نقاط الاختلاف بينهما،فمثلا نجد بأن العالم يستطيع الالتزام بالموضوعية،أما الأديب

38) نورمان فاركلوف:**تحليل الخطاب،التحليل النصي في البحث الاجتماعي**،ت:طلال وهبة،مراجعة:نجوى نصر،مركز دراسات الوحدة العربية،المنظمة العربية للترجمة،بيروت،لبنان،ط1 ،2009.ص ص61-62.

39) عبد الرحمن عبد الله:**النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي**،المرجع السابق نفسه،ص168.

40) علي الوردي:**أسطورة الأدب الرفيع**،ص 256.

41) المصدر نفسه ،ص ص 256-257.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلا يستطيع الالتزام بالموضوعية بقدر ذاتيته المبنية على العاطفة،فهو يتناغم مع عاطفته فيقدم إبداعاته الأدبية للقارئ باعتبارها لونا أدبيا خاضع للشعور[42].ويعبر علي الوردي على هذه الفكرة بقوله:«...ومعنى هذا أن الناقد يتذوق القطعى الأدبية كما يتذوقها الأديب الفنان.ثم يخضعها بعد ذلك للمنهج العلمي الذي لا سلطان للذوق الشخصي عليه.إن الناقد بعبارة أخرى:فنان وعالم في آن واحد»[43]وعلي الوردي هنا يتكلم على ضرورة مواكبة العصر وتشكيل قطيعة مع التصورات المنهجية القديمة التي تفصل بين الأدب والحقول المعرفية الأخرى،فمن يملك القدرة على النقد الموضوعي يستطيع الخوض في تحليل الثقافة ونقدها باعتبارها خطابا يحتاج إلى من يحدد ماهيته.

ويسعى علي الوردي إلى تفكيك الثقافة باعتبارها ذلك الكل المركب من الجانب المادي والروحي،بهدف معرفة المرجعيات الاجتماعية وفهم الأسباب التي تشكل الأطر الاجتماعية،ولا يتم ذلك إلا بالتحرر من الحتميات التي تعوق البحث عن الحقيقة[44].والنقد هو ظاهرة اجتماعية في أساسها إذ لولا النقد داخل الحياة الاجتماعية لتوقفت صيرورة المجتمع،والنقد كمنهجية هو شرط من شروط التطور الاجتماعي بين الأفراد،وبفضله يحدث التنازع الاجتماعي الذي يصعد من تقدم المجتمع[45].ويعترض علي الوردي على الأساليب النقدية القديمة القائمة على ذكر العيوب فقط،بل يعتقد أن تقدم الأعمال الأدبية لا يتم إلا من خلال احترام الذوات لبعضها البعض بهدف دفعها نحو التلاقح الفكري والتعايش،ذلك أن كل ذات تحمل أفكارا وآراء تعبر بها عن شخصيتها،وبالتالي فالعلاقة الجدلية التي تقوم بين الفكرة ونقيضها يجب أن تسودها علاقة التواصل والاحترام لا التنافر.[46]

ويعني ذلك أن عملية النقد يجب أن تكون بعيدة عن الذاتية أو الانتماء الإيديولوجي بقدر التفتح على الآخر سواء كان محليا أو خارجيا،على اعتبار أن منهجية علي الوردي التحليلية أثبتت بعض الجوانب السلبية في الثقافة العربية المحلية المتمثلة في الانغلاق على الآخر وعدم

42) المصدر نفسه،ص 257.

43) المصدر نفسه،ص 258.

44) عبد الرحمن عبد الله:**النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي**،ص169.

45) المصدر السابق نفسه،ص 258.

46) علي الوردي:**أسطورة الأدب الرفيع**، ص 265.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تقبل الأفكار،وبالتالي يكون العقل العربي لا يشمل إلا الحقائق المطلقة،وهذا ما يحاول علي الوردي تجاوزه.

فالأديب أو الشاعر ينطلق بعاطفته من الواقع فيتأمل عالمه الداخلي ليتناغم مع الواقع فيعكس رؤيته إلى لغة جمالية تحمل إحدى الألوان الأدبية،غير أن علي الوردي يعتقد أن للأدب أهمية في الحياة الاجتماعية ولا يمكن الاستغناء عنه،ما دام المجتمع العربي يختص بالخطاب الأدبي الذي يحمل بين طياته أبعادا فلسفية،إذا ما أردنا تحليله تحليلا اجتماعيا،ويستدل علي الوردي بالفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر،مؤكدا على دور الأدب الذي يحيا فيه الأديب الحياة الاجتماعية عن طريق اللغة التي تعكس أفكاره التي لا يمكن صياغتها إلا بتأثير العوامل الاجتماعية التي تقدم له المشكلات الاجتماعية باعتبارها مواضيع قابلة للتحليل النفسي الأدبي،فيتحرك الوعي توازيا مع المجتمع فتتحرك الذوات معا على عكس رؤيتها الشاملة للعالم.[47]ويعبر **عبد الرحمن عبد الله** عن مشروع **علي الوردي** بقوله:«...ود.علي الوردي دائم التواصل مع الآخر لكن هذا التواصل حرك فيه الانتباه على مسألة مهمة وهي قصة الحضارة وتحركها السريع وضرورة التواصل معها اجتماعيا ونفسيا.لقد سعى د.علي الوردي عبر مرجعياته إلى ربط الأوساط العلمية بما يجعل التقدم المعرفي والحضاري جزءا من طبيعة العقل العربي»[48]

وهنا يمكننا القول أن علي الوردي ناقد ثقافي بامتياز ،غذ على الرغم من تخصصه الذي يبدو بعيدا عن الأدب إلا انه لم يتوانى في توظيف منهجيته الاجتماعية ورؤيته الابستمولوجية في معالجة القضايا الثقافية التي شغلت بال المجتمع العراقي في المجال الأدبي من حيث علاقته بالنقد الثقافي ،إذ استطاع علي الوردي الانعطاف بالأدب من ميدان النقد الأدبي إلى ميدان النقد الأدبي،ومواكبا الاتجاهات الفلسفية المعاصرة بهدف تحقيق التواصل الحضاري محليا وعالميا.

خاتمة:

نستنتج من خلال التحليل السابق أن علي الوردي استطاع تحليل الخطاب الشعري من خلال دوره التاريخي في الأدب العربي،فلا يتوقف في دوره الجمالي بقدر التحليل الجينالوجي

47) المصدر نفسه،ص ص 295-296.

48) عبد الرحمن عبد الله:**النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي**،ص170.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لعلي الوردي الذي حاول إنزال الخطاب الشعري من المجالس الخاصة إلى بيئته الطبيعية داخل البراديغم الاجتماعي،إذ لا يمكن للخطاب الشعري أن يكون مؤدلجا،بل يجب أن يعكس تأمل الشاعر للقضايا الاجتماعية الواقعية والالتزام بالموضوعية،وهذا ما جسده علي الوردي من خلال إلحاق الشعر والأدب بالثقافة الاجتماعية.كما أولى علي الوردي الاهتمام بالشعر باعتباره إبداعا ينم عن تلك الأصول النفسية والاجتماعية ولا علاقة للتفسيرات الخرافية به،مؤكدا على تكامل العوامل الذاتية والموضوعية في بعث وعي الشاعر وتحويله إلى خطاب لغوي مبني على التفاعل المتبادل بين الذات الشاعرة والنحن المتلقية.في الأخير يعتبر علي الوردي ناقدا ثقافيا ممنهجا من خلال نقل الشعر من البراديغم الأدبي إلى البراديغم الثقافي مؤكدا على ضرورة التقيد بالنقد الموضوعي وتجاوز العوائق الذاتية والتفتح على المناهج المعاصرة بهدف مواكبة العالمية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادروالمراجع:

أولا:قائمة المصادر:

1) علي الوردي:الأحلام بين العلم والعقيدة،دار كوفان للنشر لندن،بيروت،لبنان،الطبعة الثانية،1994.
2) علي الوردي:أسطورة الأدب الرفيع،دار كوفان للنشر لندن،بيروت،لبنان،الطبعة الثانية، 1994.
3) علي الوردي:نقد كتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين،إعداد وتقديم:صباح جمال الدين،دار الوراق للنشر.

ثانيا:قائمة المراجع:

1) أرثر أيزابرجر:النقد الثقافي،تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية،ترجمة:وفاء إبراهيم،رمضان بسطاويسي،المشروع القومي للترجمة،المجلس الأعلى للثقافة،**(العدد603)**،القاهرة،مصر،الطبعة الأولى،2003.
2) سمير خليل: النقد الثقافي،من النص الأدبي إلى الخطاب،دار الجوهري،بيروت/لبنان، دمشق/سوريا،الطبعة الأولى،2012.
3) سيغموند فرويد:الغريزة والثقافة،دراسات في علم النفس،ت:حسين الموزاني،منشورات الجمل،بيروت،لبنان، الطبعة الأولى ،2017.
4) طه حسين:في الشعر الجاهلي،دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، الطبعة الثانية،1998.
5) عبد الرحمن عبد الله:النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي،العراق إنموذجا،دار الشؤون الثقافية العامة،مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية،بغداد،الطبعة الأولى ، 2013.
6) ميري ورنوك:في الفلسفة والأدب،ت:فلاح رحيم،دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت،لبنان، الطبعة الأولى،2007.
7) نورمان فاركلوف:تحليل الخطاب،التحليل النصي في البحث الاجتماعي،ت:طلال وهبة،مراجعة:نجوى نصر،مركز دراسات الوحدة العربية،المنظمة العربية للترجمة،بيروت،لبنان، الطبعة الأولى ،2009 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا:قائمة المعاجم والموسوعات:

أ)باللغة العربية:

1) مراد وهبة:المعجم الفلسفي،دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،(د.ط)،2007.

ب)باللغة الأجنبية:

1) Nicholas Bunnin and Jiyuan Yu: The Blackwell Dictionary of Western philosophy, Blackwell publishing LTD, British Library ,1st published,2004.p155.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com